**وربا**

المبحث الثاني

**ملامح الأدب في العصر الصفوي**

**من المسائل المهمة في العصر الصفوي نفوذ اللغة والأدب الفارسي وانتشارها في البلاد المجاورة وخاصه الهند فصارت أكبر مركز تجمع لشعراء الفارسيه. ولعل هجرة الادباء وخاصة الشعراء الى الهند تعد من اكبر واخطر القضايا التي ظهرت في أفق العلاقات الإنسانية في المجتمع الصفوي وعندما اشتهر كرم ملوك الأسرة التيمورية في الهند وأجزل العطاء للشعراء جذبت الهند شعراء إيران.**

**في حين ان اللغة الفارسية وآدابها قد اكتسبت رونقا في أنحاء شقه القارة الهندية منذ عهد أكبر شاه وقد ترقى الشعر والادب الفارسي وانتشر في تلك الأراضي الشاسعة بصوره غير عاديه بسبب تشجيع ملوكها وامرائها. ةلغدق**

**وصارت الهند مركز الشعر والأدب الفارسي وبقيت ايران في هذه الناحية في الدرجة الثانية وبسبب ذلك كان الملوك التيموريين في الهند يبدون اهتمام خاص باللغة الفارسية وآدابها فلم يكونوا يتوانون عن اعطاء الصلات والاتهامات التي لا حد لها بشعراء الفارسية وأدبائها من أجل تشجيعهم وجلب العلماء والفضلاء الى بلاد الهند.**

**وكان طبيعيا ان يتحدث الشعراء عما يسود هذه البيئه من عادات وتقاليد ورسوم وما يبدو من الهنود من صفات واعمال وما يحتفلون به من أعياد من محاولة للتجاوب مع البيئة والتعايش مع اهلها. وادت الهجرة أيضاً الى ان يكثر الحديث عن السفر ومشاقه والغربة بآلامها و الوطن والحنين إليه. عاب النقاد اسلوب الادب الفارسي في عهد الدولة الصفوية لامتلائه بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية مما جعل فهمه صعبا وتذوقه عسيرا ولكن هذا الحكم فيه شيء من الشك لأن فن الأدب كأي فن آخر يمر بمراحل من التطور وان ما يوجد في عصر ليس نتيجة لذلك العصر وإنما هو ثمرة من ثمرات التطور. فالعصر الصفوي مر بعدة مراحل من التطور،مرحلة البساطة في التعبير ثم مرحلة الصنعة أو التفنن ثم مرحلة الامعان في التفنن حيث أصبح الأدب لا يكفي بصب افكاره في قالب ملائم بل حاول ان عليه من الزخارف والنقوش ما يحمله. ومعنى هذا أن الأسلوب الأدبي في العصر الصفوي كان نتيجة تطور فن الأدب ولا يجوز الحكم على ذوق عصر من العصور بذوق عصر آخر لان الذوق يخضع بدوره للتطور. ففي عهد شاهرخ لم ينهض العلم والأدب من عثرته وانحطاطه الذي بدأ في وقت سابق وإنما لم يرقى آثار هذا العهد ابداعا وتجديدا. ومع ذلك فان هذا العهد لم يكن خاليا من الشعراء والفضلاء والعلماء بل يمكن اعتباره من بعض الجوانب من العهود ذات الإشعاع العلمي والفني. ويمكن القول أن تاريخ العلم والفن عموما في إيران كان يرتبط بأحوال السلاطين والأمراء ويستند تقدم العلم والادب ومكانتها الى تشجيع هؤلاء الملوك والأمراء. يعد عهد سلطنة شاهرخ من ناحية عدد الشعراء من العهود الجديرة بالاهتمام في إيران فهو يعادل من حيث كثرة الشعراء أكثر العهود الأدبية تألقا، أما من حيث الكيف فإنه يجب ان تعد هذه الفترة من فترات الانحطاط الأدبي وانحدار الشعر الفارسي.**

**الادب الفارسي الذي ولى وجهه للضعف من اوائل القرن التاسع الهجري وجد في عهد "حسين ميرزا بايقرا" رونقا واعتبارا وظهر فيه شعراء مثل بابا فغاني، واهلي شيرازي،**

**حيث كان ظهور هؤلاء الشعراء في أواخر القرن التاسع جعله يرجح القرون السابقة من حيث رواج العلم والأدب والفن ولما كان السلاطين وامراء هذا القرن انفسهم أهل علم وفضل فقد كانوا يحترمون هذه الطبقة وقد احرز الشعراء خاصة مقاما رقيقا في هذا القرن. وبنفس القدر كان السلطان حسين ميرزا بايقرا يهتم بالشعراء ويشجعهم كان السلطان يعقوب بيك آق قوينلو في أذربيجان يشجعهم وكان أهل العلم والعقل يأتون من كل مكان إلى بلاطه. كان**

**عبد الرحمن جامي أكبر شعراء الصوفية في تلك الفترة واخرهم على الإطلاق. فكان طبيعيا أن يتطور هذا الفن خلال هذه الفترة من شعر صوفي الى شعر وعظ وارشاد وقد ساعدت مدة أسباب على تطور هذا الفن ويتمثل السبب الأول في اختفاء طبقة المتصوفة الحقيقيين الذين كانوا ينظمون الغزل في العشق الإلهي بفيض خاطرهم الصوفي ومع اختفاء ذلك الطبقه إلى أن الملكة الشعرية ظلت باقية بل تطورت الى مستوى ارقى. كان الشعر في فترة ما قبل قيام الدولة الصفوية كان قد نظم في مدح آل البيت والبكاء على من استشهد منهم وشرح بعض عقائد الشيعة والدفاع عنهم أمام أهل السنة وهو ما يعرف بالشعر المذهبي. ورد هذا الشعر في فترة ما قبل الدولة الصفوية قليلا ولكن لم يكن بالكثرة التي ترى في هذه الفترات فقد كان سلاطين قراقونيلو يميلون كثيرا الى مبادئ الشيعة في تبريز.**

**وقد اخذ هذا اللون من الشعر شكلا جديدا تبلور في العصر الصفوي عندما بلغت الدعوة الشيعية أوجها، وكان الشعر المذهبي في هذه الفترة يتخذ موضوعين من موضوعات الشعر وسلبه للتغيير هما المدح والرثاء. كان المدح حول علي بن ابي طالب الامام الاول، وأما اشعار الرسائل فكان معظمها ينظم في الإمام الثالث الحسين بن علي ثم بقية الأئمة الشهداء.**

**في مدح علي بن أبي طالب يقول بابا فغاني:**

**تاجهان بحر وسخن گرهروانسان صدفست**

**گوهر بحر سخن مدحت شاه نجفت**

**والى ملك عرب سرور اشراف قريش**

**آنکه تشریف قدومش زدوجها نرا شرفست**

**نفمه مهر على از دل پردرد شنو**

**کاین نه صوتیست که درز مزمه چنگ و دفت.**

**الترجمه**

**-منذ كانت الدنيا بحراً والكلام جوهرا والانسان صدفا فان مدح ملك النجف جوهر بحر الكلام ، والى ملك العرب عظيم أشراف قريش الذي تشريف قدومه شرف لكلا العالمين ، إسمع نفسة حب على من قلب ملىء بالوجد لأنه ليس صوتا كالذى فى زمزمة العود والدف.**

**ويقول اهلي شيرازي:**

**(۱) ای جان همه جانها روح القدسى كويا**

**پنهان ز نظر اما در دیده جان پیدا در مكه و دو يثرب شاهنشه ذو موكب**

**در مشرق و در مغرب خورشید جهان آرا**

**میسی فلك رتبت موسى ملك هست**

**دانا بهمه حکمت درعلم نظر بینا هم مهدى وهم حارث بی ثانی و بی ثالث**

**در علم نبی وارث عالم بهمه اشبا**

**ای از همه حال آ که همرار قي الله**

**باشاه رسل همره در منزل اودانا**

**بی مدح على اصلا نگرفت سخن بالا**

**اهلی توپی ولا أهلى بشدى اهلا**

**الترجمه**

**« ياروح لجميع الأرواح كأنك روح القدس ، خاف من النظر ولكنك ظاهر في سويداء الروح ، فأنت في مكة ويثرب إمبراطور ذي موكب وشمس مزينة للعالم في المشرق والمغرب ، وإنك عيسى السماوي الرتبة وموسى ملاك الهمة عالم بكل حكمة خبير في علم النظر ، أنت مهدی حارث لا ثانى لك ولا ثالث وارث لعلم النبي عالم بكل الأشياء ، خبير بكل حال ومؤتمن أسرار النبي رفيق ملك الرسل وفي منزله عالم ، لا يرتقى الكلام أبداً بدون مدح على وقد صرت يا أهلى من إتباعك للمولى أهلا ذلك.»**

**ويلاحظ أن مدح الامام كان مرتبطا بإحساس الشاعر الداخلي فلا يشعر بأثر خارجه يتدخل في أسلوب نظم الشاعر لذالك كانت المعاني المذهبية الواردة في الشعر بسيطه وتميل الى السطحية ثم بدأت تتطور لتتخذ شكلا واضحا يتجه إلى بيان أصول الإمامة في مدح شخص الامام علي. كان الشعراء في هذه الفترة ما يزالون متأثرين بما ورد في القران والاحاديث وكتب السنة عن علي بن أبي طالب وغيره من الأئمة من أوصاف حسية ومعنوية وأخلاق حميدة وخصال طيبة وكان واضح في أدب هذه الفترة أن أهلي شيرازي كان من أهم الشعراء الذين احتفلوا بيوم عاشوراء ومن الاشكال التي استخدمت في هذا الغرض شكلين التركيب والترجيع بند.**

**ويلاحظ في الأدب المذهبي في العصر الصفوي كان للناحيه السياسية أثر كبير بالإضافة إلى دعوة الملوك الصريحة للشعراء بترك مدح الأشخاص والتوجه الى مدح أئمة الشيعة وذكر مناقبهم وبكاء من استشهد منهم فقد كانوا هم أنفسهم قدوة صالحة للشعراء في هذا الشأن.**

**ظهرت المعاني المذهبية في الأدب الصفوي في شعبتين الأولى معان دينية تتعلق بعلم التوحيد وتسبيح الله والاعتراف بقدرته وملكوته والثانيه معاني مذهبية تتعلق بالمذهب الشيعي الاثنى عشري وتركزت في عز حنين معاني اندرجت في فن المديح وذكر المناقب ومعان ظهرت في فن الرثاء وتعديد المأثر.**

**اولا:« المعاني الدينية»:**

**المعاني الدينية في العصر الصفوي تتسم بالعمق نتيجة للنظر في الكون والتعمق في فهم أسراره ومظاهره وهو النظر الذي آوى إليه تغيير المذهب والانقلاب الديني والمذهب الهائل الذي اجتاح البيئة الايرانية في هذا العصر في مقابل ما وجده.**

**ويتضح ذلك من خلال قول محتشم كاشاني في وحدانية الله وقدرته ص١٦٢**

**فقد كانت أكثر القصائد المذهبية تبدأ بمقدمات دينية تسير بصورة منتظمة. وقد نجح شعراء العصر الصفوي من الاستفادة من الايات القرانيه واستخدامها أفضل استخدام لدعم أفكارهم المذهبية والدينية وإثبات صدق دعواهم.**

**ثانيا:«المعاني المذهبية»:**

**المعاني المذهبية قد نظمت في كل اغراض الشعر من مدح ورثاء وغزل ووصف وغير ذلك، وان كانت قد تركزت في المدح والرثاء كما وسعتها كل القوالب من قصيده غزليه ورباعيه وقطعه وتركيب بند وترجيع بند وغيرها من الأشكال والقوالب فإن كان الأدب المذهبي غير جديد على الأدب الفارسي وانا آثارا من هذا الأدب قد ظهرت في الفترات التي سبقت العصر الصفوي.**

**فان طريقة التغيير قد تطورت في هذا العصر مما تطورت المعاني بما يوافق أصول المذهب الشيعي الاثنى عشري والظروف التي صاحبته، والتعاليم الجديدة التي دخلت فيه والتعقب الذي أثر عليه**

**لم يستطع شعراء هذا العصر التخلص من اثار مطالعتهم للأدب الذي أنتجه أدباء وأهل السنة وقد ظهر هذا في مدحهم للأئمة حيث لم يستطيعوا التخلص من الأوصاف الحسية التي مدحوهم بها والتي اشتهرت عن أدباء أهل السنة في مدحهم لآل البيت.**

ويتضح **ذلك في قول محتشم كاشاني في مدحه للإمام عليه ص١٨٣**

**وكان لبيئه الهند اثر كبير على الشعراء قد استطاع فيضي الهندي أن يتخذ سنه جديده في مدح الامام فقد عمل على أن يجمع كل المعاني التي يريد التعبير عنها في قصيدة واحدة ورتبها ترتيبا يتفق مع أهميتها ص٢٠١**

**ظهر الأدب التعليمي في عصر الدولة الصفوية واحتل مكانا بارزا بين موضوعات الأدب وشكل ظاهرة من أهم الظواهر الأدبية في هذا العصر. وكان الشعراء يهتمون بهذا اللون في الادب اما موجهين من قبل ملوك الدولة الصفوية وحكامها لمساعدة رجال الدين في نشر الدعوة الشيعية والدفاع عنها أمام ادعاءات أعدائها وأما مدفوعين بالرغبة في الإصلاح نظرا لما سادة لمجتمع من تحلل ونفاق والتمسك بالمظاهر دون الاصل والجوهر والتمسح في رجال الدين. كان الأدب التعليمي يتمثل في عصر الدولة الصفوية في شكلين من أشكال التعبير الأدبي حيث ظهر في المنظومات المثنويه وهو شكل تقليدي، كما تجلى في طريقه ارسال المثل في القصائد والغزليات وهي طريقة فيها كثير من الابتكار والجدة.**

**١ـ «المنظومات التعليمية».**

**كان بهاء الدين محمد عاملي من أبرز شعراء العصر الصفوي مما نظموا في هذا اللون من الأدب. فقد نظم ثلاث منظومات مثنويه تعليمية سمي الأول باسم "نان وحلوا" والثانيه باسم "شير وشكر" والثالثه "باثنان وبير" والمنظومات الثلاث تهدف إلى إعادة المسلمين إلى الإيمان وإيقاظ روح الإسلام في نفوسهم وارشادهم الى الطريق القويم في الحياة والأسباب التي تحقق السعادة في الآخرة.**

**وعلى الرغم من الاهتمام الواضح بالأدب التعليمي سواء في ايران او الهند فان أكثر القصص كانت تدور حول تقليد المنظومات الخمس للشاعر نظامي الكنجوي 254..**

**وكانت المعاني التعليميه يستخدمها الاديب في قصصه مما احدث قصورا في إنتاج القصص الشعري التعليمي في العصر الصفوي بعاده وفي القصص التعليمي المتعلق بالمذهب الشيعي الاثنى عشري على وجه الخصوص.**

**والقصص التي صيغت في الهند كانت أرق وأعذب واقوى تاثيرا من القصص التي نظمت في إيران وسبب ذلك هو تحررها من القيود التي كتبها وتحد من انطلاقها وشفافيتها التي كانت منتشرة في إيران في ذلك الوقت. ويرجع ايضا الى حرية الشاعر في اختيار الموضوع وتشجيع ملوكها لهذا النمط من النظم. كان إرسال المثل التعليمي في هذا العصر أيضا يمثل ظاهرة أدبية عامة حيث كان معظم الشعراء يتبعون أمثالهم حول موضوعات محددة يوجه نظرا تكاد تكون عامة فمنها ما هو تقليدي مثل الدعوة الى الأخلاق الحميدة وذم الصفات القبيحه والاتجاه الى الايمان والعلم.**

**كانت الناحية المذهبيه الموجه الاول لاكثر موضوعات هذا الفن حيث حرص الشعراء على توضيح قضاياهم ودعواهم عن جهه النظر الشيعيه الاثنى عشرية.**

**ويقول في ذلك عرض الشيرازي ص٢٥٦**

**ظهر ايضا في هذا العصر الادبي الشيعي وهو كل انتاج قدمه الادباء لعامه الناس دون الحكام او دون تاثير مباشر منهم حيث كانت الظروف مهيئاه لظهور مثل هذا الادب سواء في الناحيه السياسيه او المذهبيه او الاجتماعيه.**

**فالمسائل السياسيه والمذهبيه كانت في حاجه الى شرح وتبسيط يوافق العامه ويساعدهم على التجاوب مع الظروف الجديده في الدوله. لذلك حرص العلماء ورجال الدين والاولياء على ان يجعلوا للشعب عن انتاجهم نصيبا مفروضا. وكذلك ايضا ساعد انتشار المقاهي والمنتديات الادبيه على حدوث الالتقاء بين الادب والشعب فعبر الادب عن حياه الناس وظروف معيشتهم بالاضافه الى ان هجره الشعراء والادباء الى بلاد الهند كسبتهم فزيدا من الحريه في التعبير عن المسائل التي لا تهم ملوك الصفويين والتي يقصد بها الامتناع او وصف تجربه ذاتيه.**

**وينتج عن ذلك شيوع الهزل والمطايبات في حالات الصفاء وشيوع الهجاء وكان اكثر الشعراء كانوا يقولون الهجاء والمطايبه والهزل. وقلما وجدنا ديوانا من دواوين شعراء هذا العصر يخلوا من غرض من هذه الاغراض.**

**ص ٢٩٦**

**وقال وحتى فيه جاء احد الملحدين عن ابناء عصره كان ينكر الانبياء دور رساله رسول الله**

**وكان الشعراء يختارون اسماء وتخلصات طريفه مثل (كريهٔ شوشتري) وكذلك ايضا(سگ لوند) واسمه حسن بيك وكان اصفهاني واسمه صادق وظهر ايضا في العصر الصفوي كثير من الشعراء الذين يمارسون حرفه من الحرف كمل اصلي لهم ثم كانوا ينظمون الشعر الى جانب ذلك مثل خواجه ناصر فلندر نمديوش. وسيد احمد وفخر الدين ومير شاهكي.**

**ومن الظواهر الادبيه التي كان المجتمع الصفوي اثر كبير في ظهورها ظاهره وصف الحرف وغزل الحرفين وهو ما يعرف في كتب تاريخ الادب والتذاكر باصطلاح**

**"شهراشوب".**

**ومن اوائل شعراء العصر الصفوي الذين نظموا في هذا الفن الشاعر لساني شيرازي ومنظومته" شهراشوب" مولانا لساني المسماه بجمع الاصناف وهي عبارة عن رباعيات في تعريف ووصف أرباب الحرف والصناعات مع ذكر الآلات والمعدات وآداب الحرفين ورسومهم.**

**من الإنتاج الأدبي الشعبي الذي لا يمكن الغفلة عنه من وصف ادب الخمريات او رسائل الشراب ورغم ان هذا اللون من الأدب ليس جديدا عن الشعر الفارسي في موضوعه العام إلا أنه في العصر الصفوي اكتسب سمات وخصائص جديده ميزته عن العصور الاخرى.**

**هذا اللون من الادب اقرب ما يكون لفن الوصف بل انه يقوم اساسا على الوصف فالرساله الخمريه تقوم على عده ابواب من الوصف مثل وصف الكلام ووصف الشراب والربيع والقلب والعشق ويقول خواجه حسين ثنائي ص ٣٤١**

**اسلوب هذه الرسائل الخمريه يميل الى السهوله والبساطه ويتخذ طابع الامتاع النفسي فهي اقرب لروح الشعب منها الي ادب البلاط، وإن كان بعضها قد قدم الي ملك او حاكم فما كان هذا الا جمعا في عطاء ووسيلة لإمتاع هذا الملك او الحاكم. وكانت مثل هذه الرسائل تلقى في مجامع الشعراء وفي المقاهي والمنتديات الادبيه اكثر مما كان يروى في حضره الملوك الامراء.**

**هذا كله بالاضافه الى فن الغزل فهو من اهم الفنون الشعريه التي احتلت مكانا بارزا في الادب الفارسي على مر العصور وقد ادت طبيعية التطور في مجال الحياة والادب بالغزل الى افاق اوسع فصارت المعاني الرقيقه للغزل تحمل ابعاد اخرى تعبر عن مضامين اعمق فحملت الفاظ الغزل معاني صوفيه ونظرا لضعف التصوف في عصر الدوله الصوفيه فقد صار على شعر الغزل ان يتجه اتجاها اخر يستلهم منه معانيه ومضامين لذلك ظهرت في هذه الفتره مدرستان للغزل تطور بهما غزل القرن التاسع في صورته الخشنه التي لا روح فيها ووجد حياه جديده في هاتين المدرستين فكانتا برزخا بين شعر العهد التيموري والاسلوب الهندي وهم مدرسه الغزل الواقعي ومدرسه الغزل المجازي**

**الغزل الواقعي**

**كان المقصود من الغزل الواقعي في عصر الدوله الصفويه بيان حالات العشق والعاشق من الناحيه الواقعيه ونظم كل ما يقع بين العاشق والمعشوق فيكون بهذا المعنى شعرا بسيطا خاليا من الصناعات اللفظيه والزينات الشعريه فلا يتضمن جناسا لفظيا او معنويا او ارسال المثل او رد العجز عن الصدر او الابهام وماشبه ذلك بل يكون لسان حال في بيان الواقع باسلوب صافي صريح.**

**ويعتبر امين رازي ان لساني شيرازي واضع الغزل الواقعي**

**ولكن احمد گلجين معاني يعتقد ان شهيدي قمي قد سبقه الى هذا الفن ويعتبر صادق كتابدرا صاحب مجمع الخواص شرف جهان قزويني اشهر الواقعين لانه نظم جميع غزلياته من هذا الفن.**

**ولكن الواضح ان بابا فغاني شيرازي هو رائد هذا الفن لسببين الاول هو ان غزالياته في معظمها نموذجا صادقا لهذا الفن والثاني انه كان اكثر امتياز من معظم الشعراء ولمحتشم الكشاني نموذجين هامين لفن الواقعيه في الغزل حيث قام في الرساله الاول بنظم 64 غزليه بعدد حروف اسم محبوبته.**

**واما عن رسالته الثانيه" نقل عشاق" فتحدث موضوعها عن النوادر العجيبه والحوادث الغريبه التي تحدث بين العشاق وما فيها من صلح وغضب والفه وهناء ولوعه ومن امثله ذلك يقول ص٣٧٦**

**وقد صارت الواقعيه بالنسبه لبعض الشعراء في العصر الصفوي المجال الرئيسي لابراز قدرتهم الشعريه حتي ان هؤلاء الشعراء قد اختاروا تخلصات لهم مشقة عن اسم الواقعية.**

**ولقد كان هذا النوع من الفن مزدهر في النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر ولقد كان ضعف التصوف واهماله هو السبب الاساسي الذي اوى بالشعراء الى نظم هذا اللون من الغزل لذلك العوده الى الاحاسيس النظريه والمشاعر الطبيعية أمرا طبيعيا ولا يتعارض مع ظروف العصر.**

**الغزل المجازي:**

**المضمون الاساسي لهذا النوع من الغزل هو وصف العريره والسماله والطعن على ازدهاد والصوفيه في حين ان وصف الخمر ومجالسها وذكر الساقي واحوال الثماله ليست جديده في الشعر ولكنها صارت في هذه الفتره من المعاني العامه والمتداوله. وهذا النوع من الغزل لا يحتوي احيانا على مضامين العشق واحيانا على الشطحات العرفانيه واحيانا على المعاني المليئه بالعبره.**

**ومن اهم من قالوا في هذا اللون عن الغزل هو الشاعر اهلي شيرازي حيث يقول ص٤٠٠**

**وقد استمر الغزل المجازي في العصر الصفوي كامتداد طبيعي للفتره التي سبقت هذا العصر حيث ان هذا اللون من الغزل ارتبط باشياء اخرى استمر باستمرارها.**

**ولقد كان الغزل المجازي المجال الاساسي للشعراء في ابراز قدراتهم الشعريه والاعلان عن ثقافتهم الواسعه والمامهم بالعلوم والفنون والمعاني الدينيه والمذهبيه بالاضافه الى فهمهم رموز العشق الالهي**

**ص٤٠٣ .ص ٤٠٥**